



أعجبني في اليمين التي حلف عليها أنس بن النضر -رضي الله عنه- أن الرجل كان يشهد الله وحده، ويتشهد أولاً وآخرأ رضاه.

لقد أحزنه أن الله لم يره في ميدان القتال ببدر، فأقسم أن يري الله نفسه في أول لقاء بالكافرين، وأن يضرب أعلى مثل في التفاني والاستبسال...

وذلك في ذات الإله وإن يشاً *** يبارك على أوصال شلوٍ ممزع
لم يدر بخلد أنس تطلع إلى جاه أو تشوّق إلى شهرة.
كان الرجل أذكي نية، وأشرف نفساً من أن يلمع بهذه الدنيا.

والعمل لا يوصف بالصلاح، ولا يرشح للقبول، إلا إذا أخلص لله وحده، وقصد به وجهه. روى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: ((إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرُكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشَّرُكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ! يَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَ - لِلْمَرَائِينَ - إِذَا جَزَى النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ -: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَأَوْنَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا: هَلْ تَجِدُونَ عِنْهُمْ جَزَاءً؟)).

والواقع أنه لا جزاء عندهم لا في الدنيا ولا في الآخرة، فماذا يرجو عبد من عبد إلا أن يزداد ذلاً؟ وماذا يطلب فقير من فقير إلا أن يزداد عيلة!!!

إن الإخلاص لله سياج العز وضابط الخير فيحياتين.

وعندما تصدق النية فلا يخشى على العبد من مجاهرة بصلة أو جهاد أو صدقة، إذ الأساس استهداف وجه الله - تعالى -، وليس على البال غيره.

ومن الحماقة أن يطلب الإنسان ثناء الخلق وهو يعلم أن الله قد ستر عليه ذنوبه لو كشفوها لسودوا وجهه!!
الله - تعالى - أولى بالاتجاه والمؤدة وأحق بالحفاوة والالتفات.

ومن عظمة الإيمان اكتفاء المرء ينظر الله إليه، وإيثاره أن يعمـل في صـمت أو يـموت جـنـدياً مجـهـولاً، وهذا الـاكتـفاء دـلـلة

استغراق المرء في الشهود الإلهي، ورسوخ قدميه في مقام الإحسان، وتلك هي الولاية كما شرحها معاذ بن جبل - رضوان الله عليه -. روى ابن ماجه: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خرج إلى المسجد فوجد معاذًا عند قبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبكي! فقال: "ما يبكيك؟" قال: "حديث سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((اليسير من الرياء شرك، ومن عادي أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غباء مظلمة))."

أجل إن الله - تعالى - يحب أولئك العاملين في صمت، الزاهدين في الشهرة والسلطة، المشغولين بالباب عن القشور، المتعلقة قلوبهم بالله، لا تحجبهم عنه فتنـة، ولا تغريهم مـتعة وما أفتر أمتنا إلى هذا الصـنف المـبارك، بهـم تـرـزـق وبـهـم تـنـصـر. إلا أن بعض العبادات الأصلية ما تـقـم إـلـا فـي جـوـ العـلـانـيـةـ وـالـظـهـورـ كـالـتـعـلـيمـ وـالـدـعـوـةـ وـالـقـضـاءـ وـالـجـهـادـ، بل إن قـيـامـ الأـركـانـ الأساسية يتـطلـبـ ذـلـكـ، وـهـنـا تـؤـكـدـ خـطـورـةـ النـيـةـ المـصـاحـبـةـ فـيـ تـقـوـيـمـ أيـ عـمـلـ صـحـةـ وـقـبـلـاـ...ـ

وقد كان أبو بكر - رضي الله عنه - يقوم الليل فيقرأ سراً، وكان عمر - رضي الله عنه - يقوم فيقرأ جهراً. فلما سـئـلـ الصـدـيقـ قـالـ: أـسـمـعـتـ مـنـ أـنـاجـيـ! وـلـمـ سـئـلـ الـفـارـوقـ: قـالـ: أـوـقـظـ الـوـسـنـانـ وـأـطـرـدـ الشـيـطـانـ! إن إـخـلـاصـ النـيـةـ هـنـاـ وـهـنـاكـ يـجـعـلـ السـرـ وـالـعـلـنـ سـوـاءـ.

وـذـلـكـ مـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ يـعـيـهـ الدـعـاـةـ وـالـقـضـاءـ وـالـسـاسـةـ وـالـقـادـةـ، وـكـلـ مـنـ يـحـمـلـونـ مـؤـنـةـ الـآخـرـينـ، أـوـ يـكـوـنـونـ فـيـ مـوـضـعـ الـأـسـوـةـ...ـ وـالـإـخـلـاصـ لـاـ يـمـنـعـ الـمـسـلـمـ مـنـ الـاـهـتـمـامـ بـنـفـسـهـ وـكـرـامـتـهـ! إن الله كـلـفـنـاـ أـنـ نـجـمـلـ أـبـدـانـنـاـ وـمـلـابـسـنـاـ، وـكـرـهـ لـنـاـ رـثـاثـةـ الـهـيـئـةـ وـكـآـبـةـ الـمـنـظـرـ فـلـيـسـ مـنـ الـرـيـاءـ أـنـ نـصـونـ أـحـوـالـنـاـ، وـنـحـصـنـ مـكـانـاتـنـاـ مـنـ الـظـنـونـ وـالـمـكـدـراتـ! من حـقـ الـكـرـيـمـ أـلـاـ يـتـهـمـ بـالـبـخـلـ كـمـاـ أـنـ مـنـ حـقـ النـظـيفـ أـلـاـ يـرـمـىـ بـالـأـدـرـانـ.

لـكـ الدـافـعـ عـنـ الـكـيـانـ الـمـادـيـ وـالـمـعـنـوـيـ شـيـءـ وـطـلـبـ وـجـوـهـ النـاسـ بـالـعـمـلـ الصـالـحـ شـيـءـ آـخـرـ. وـقـدـ خـلـدـ الـقـرـآنـ الـكـرـيـمـ ذـكـرـ فـرـيقـيـنـ مـنـ الـهـدـاـةـ الـأـتـقـيـاءـ، أـحـدـهـمـ سـجـلـ أـسـمـاءـ وـجـهـادـهـ وـأـثـنـيـ عـلـىـ رـجـالـهـ أـطـيـبـ الثـنـاءـ، وـالـآخـرـ طـوـىـ أـسـمـاءـ وـنـشـرـ سـيـرـتـهـ وـاـكـتـفـيـ بـشـرـحـ عـمـلـهـ وـتـزـكـيـةـ أـمـرـهـ.

مـنـ الـأـوـلـيـنـ أـنـبـيـاءـ اللهـ الـكـرـامـ الـذـيـنـ غـرـسـوـاـ هـدـاـيـاتـ السـمـاءـ فـيـ الـأـرـضـ، وـذـاـلـوـاـ عـنـهـاـ أـوـبـئـةـ الـكـفـرـ وـالـعـدـوـانـ. وـالـقـرـآنـ الـكـرـيـمـ عـنـدـمـ يـثـبـتـ تـارـيـخـاـ لـاـ يـعـنـىـ إـلـاـ بـإـبـرـازـ الـمـنـاقـبـ الـتـيـ تـؤـخـذـ مـنـهـاـ الـأـسـوـةـ، وـالـفـضـائـلـ الـتـيـ سـبـقـتـ بـذـوـيـهـاـ وـأـعـلـتـ أـقـدـارـهـاـ..ـ!

تـدـبـرـ قـوـلـهـ - تـعـالـيـ - : {وـاـذـكـرـ عـبـادـنـاـ إـبـرـاهـيـمـ وـإـسـحـاقـ وـيـعـقـوبـ أـوـلـيـ الـأـيـديـ وـالـأـبـصـارـ *ـ إـنـاـ أـخـلـصـنـاهـمـ بـخـالـصـةـ ذـكـرـيـ الدـارـ *ـ وـإـنـهـمـ عـنـدـنـاـ لـمـنـ الـمـصـطـفـيـنـ الـأـخـيـارـ} [ص: 45-47].

إـنـ هـذـهـ الـآـيـاتـ تـنـبـهـ إـلـىـ الـاسـتـطـالـةـ الـمـادـيـ وـالـمـعـنـوـيـةـ لـهـؤـلـاءـ الـدـعـاـةـ الـكـبـارـ، فـلـيـسـ الـأـيـديـ وـالـأـبـصـارـ هـذـهـ الـأـعـضـاءـ وـالـحـوـاسـ الـتـيـ يـشـتـرـكـ فـيـهـاـ الـعـبـاقـرـةـ وـالـدـهـمـاءـ، وـلـكـنـاـ الـقـدـرـةـ وـالـعـرـفـةـ. وـهـلـ يـتـقـدـمـ وـيـتـأـخـرـ، إـلـاـ بـهـذـاـ التـفـاـوـتـ الـبـعـيـدـ فـيـ الـهـمـ وـالـثـقـافـاتـ؟ـ؟ـ

وـنـدـعـ الـحـدـيـثـ عـنـ هـذـهـ الـفـرـيقـ الـذـيـ رـفـعـ اللهـ ذـكـرـهـ إـلـىـ الـفـرـيقـ الـآـخـرـ الـذـيـ أـسـدـلـ عـلـىـ أـسـمـاءـ رـجـالـهـ سـتـارـ كـثـيـفـ فـمـاـ يـعـرـفـهـ إـلـاـ رـبـهـ.

وـمـنـ يـدـرـيـ؟ـ لـعـلـ ذـلـكـ تـكـرـيـمـ وـتـبـيـتـ لـلـذـيـنـ يـعـمـلـونـ حـتـىـ الـمـمـاتـ بـعـيـدـاـ عـنـ الـأـضـوـاءـ، إـنـهـمـ أـسـمـعـوـاـ مـنـ يـنـاجـوـنـ!ـ وـلـنـ يـضـيـعـ مـنـ عـلـمـهـ مـثـقـالـ ذـرـةـ، إـلـاـ جـهـلـ النـاسـ مـنـ هـمـ؟ـ

لـهـمـ أـسـوـةـ حـسـنـةـ فـيـمـنـ حـكـيـ الـقـرـآنـ أـبـيـاءـهـ وـتـرـكـ -ـ غـيـرـ نـسـيـانـ -ـ أـسـمـاءـهـ. مـنـ هـؤـلـاءـ مـؤـمـنـ آـلـ فـرـعونـ، الـذـيـ أـحـسـ نـيـةـ الـغـدـرـ بـمـوـسـيـ، وـالـتـآـمـرـ عـلـىـ قـتـلـهـ، فـاـصـطـنـعـ أـسـلـوبـ الـمـحـاـيدـ فـيـ عـرـضـ نـصـهـ

وتفكيره قائلًا: ما خطورة أن يؤمن أحد بالله، أو يزعم أنه يحمل رسالة من لدنـه، إنـ كانـ كانـبـاً فـستـفـضـحـهـ الأـيـامـ،ـ وـلنـ يـضـرـ إلاـ نـفـسـهـ.ـ وإنـ كانـ صـادـقاًـ فـإـنـ العـدوـانـ عـلـيـهـ اـسـتـهـادـ لـعـقـابـ اللـهـ الـكـبـيرـ،ـ وـلـيـسـ مـنـ الـعـقـلـ التـعـرـضـ لـعـقـابـ اللـهـ.ـ وـاـسـتـتـلـىـ يـقـوـلـ:ـ قـدـ نـكـونـ الـيـوـمـ غـالـبـيـنـ،ـ وـلـكـنـاـ بـشـرـ لـاـ نـفـلـتـ مـنـ أـصـابـعـ الـقـدـرـةـ الـعـلـيـاـ عـنـدـمـاـ تـقـبـضـ عـلـيـنـاـ فـلـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ نـجـورـ عـلـىـ عـبـادـ اللـهـ.

قالـ -ـ تـعـالـىـ -ـ مـخـلـدـاـ دـفـاعـ هـذـهـ الـمـحـاـمـيـ الـمـؤـمـنـ:ـ {ـوـقـالـ رـجـلـ مـؤـمـنـ مـنـ آـلـ فـرـعـوـنـ يـكـتـمـ إـيمـانـهـ أـنـقـتـلـوـنـ رـجـلـاـ أـنـ يـقـولـ رـبـيـ اللـهـ وـقـدـ جـاءـكـمـ بـالـبـيـنـاتـ مـنـ رـبـكـمـ وـإـنـ يـكـ كـانـبـاـ فـعـلـيـهـ كـبـيـهـ وـإـنـ يـكـ صـادـقاـ يـصـبـكـ بـعـضـ الـذـيـ يـعـدـكـ مـنـ هـوـ مـسـرـفـ كـذـابـ *ـ يـاـ قـوـمـ لـكـ الـمـلـكـ الـيـوـمـ ظـاهـرـيـنـ فـمـنـ يـنـصـرـنـاـ مـنـ بـأـسـ اللـهـ إـنـ جـاءـنـاـ قـالـ فـرـعـوـنـ مـاـ أـرـيـكـ إـلـاـ مـاـ أـرـىـ وـمـاـ أـهـدـيـكـ إـلـاـ سـبـيلـ الرـشـادـ}ـ [ـغـافـرـ:ـ 28ـ29ـ].ـ

وـأـحـبـ أـنـ أـقـفـ قـلـيـلاـ عـنـدـ رـدـ فـرـعـوـنـ،ـ هـلـ كـانـ الـرـجـلـ يـعـتـقـدـ فـعـلـاـ أـنـ رـاـشـدـ،ـ أـمـ أـنـهـ كـانـ يـحـادـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ وـهـوـ يـدـرـيـ أـنـ مـبـطـلـ عـنـدـ؟ـ

الـوـاقـعـ أـنـ كـثـيرـاـ مـنـ الـضـالـلـيـنـ يـمـضـوـنـ فـيـ طـرـيـقـ الـغـوـاـيـةـ وـهـمـ يـسـتـحـسـنـوـنـهـ وـيـسـتـرـيـحـوـنـ إـلـيـهـاـ وـيـعـتـقـدـوـنـ أـنـ لـهـمـ وـجـهـةـ نـظـرـ جـديـرـ بـالـتـسـلـيمـ.

وـفـيـ هـؤـلـاءـ يـقـولـ اللـهـ -ـ تـعـالـىـ -ـ :ـ {ـإـنـ الـذـيـنـ لـاـ يـوـمـنـوـنـ بـالـآـخـرـةـ زـيـنـاـ لـهـمـ أـعـمـالـهـمـ فـهـمـ يـعـمـهـوـنـ}ـ [ـالـنـمـلـ:ـ 4ـ].ـ وـيـقـولـ:ـ {ـأـفـمـنـ كـانـ عـلـىـ بـيـنـةـ مـنـ رـبـهـ كـمـنـ زـيـنـ لـهـ سـوـءـ عـمـلـهـ وـأـتـبـعـوـاـ هـوـاـءـهـمـ}ـ [ـمـحـمـدـ:ـ 14ـ].ـ

وـيـقـولـ الـمـفـسـرـوـنـ فـيـ قـوـلـهـ -ـ تـعـالـىـ -ـ :ـ {ـإـنـ تـسـتـفـتـحـوـ فـقـدـ جـاءـكـمـ الـفـتـحـ}ـ [ـالـأـنـفـالـ:ـ 19ـ].ـ

نـزـلـتـ الـآـيـةـ فـيـ أـبـيـ جـهـلـ عـنـدـمـاـ قـادـ الـمـشـرـكـيـنـ فـيـ مـعـرـكـةـ بـدـرـ،ـ فـقـدـ قـالـ لـمـاـ التـقـيـ الـجـمـعـانـ:ـ "ـالـلـهـ أـيـنـاـ كـانـ أـفـجـرـ قـاطـعـاـ لـلـرـحـمـ -ـ يـعـنـيـ نـفـسـهـ وـمـحـمـداـ -ـ فـأـحـنـهـ الـيـوـمـ -ـ أـيـ أـهـلـكـهـ -ـ".ـ

فـكـانـ هـذـاـ الـكـفـورـ الـكـنـوـدـ كـانـ إـلـىـ الرـمـقـ الـأـخـيـرـ يـعـتـقـدـ أـنـ مـحـقـ فـيـمـاـ اـرـتـكـبـ!!ـ

إـنـ الـحـجـابـ الـمـسـدـلـ عـلـىـ بـصـيرـتـهـ لـمـ يـسـمـحـ لـشـاعـرـ مـنـ الـخـيـرـ أـنـ يـتـسـلـلـ إـلـىـ نـفـسـهـ وـهـوـ الـمـسـؤـولـ عـنـ ذـلـكـ الـطـمـسـ،ـ فـلـوـلـ إـدـمـانـ الـعـصـيـانـ،ـ وـتـعـودـ الـجـرـيـمـةـ مـاـ أـصـابـهـ هـذـاـ الـعـمـىـ!!ـ

وـقـدـ يـكـونـ كـلـاـ الرـجـلـيـنـ فـرـعـوـنـ وـأـبـوـ جـهـلـ كـانـبـاـ فـيـ حـدـيـثـهـ عـنـ نـفـسـهـ،ـ وـحـوارـهـ مـعـ قـوـمـهـ،ـ فـمـثـلـهـمـاـ مـنـ الـدـهـاءـ وـالـقـدـرـةـ بـحـيثـ يـدـرـيـ أـنـهـ مـسـتـرـسـلـ مـعـ هـوـاـ،ـ وـأـنـهـ يـكـابـرـ الـحـقـائـقـ،ـ وـيـشـاقـ اللـهـ وـرـسـلـهـ.

وـقـدـ كـشـفـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـيـ مـوـضـعـ آـخـرـ أـنـ فـرـعـوـنـ وـقـوـمـهـ لـمـ جـاءـتـهـ آـيـاتـ اللـهـ الـبـاهـرـةـ،ـ {ـوـجـحـدـوـ بـهـاـ وـأـسـتـيـقـنـتـهـاـ أـنـفـسـهـمـ طـلـمـاـ وـعـلـوـاـ}ـ [ـالـنـمـلـ:ـ 14ـ].ـ كـمـاـ قـالـ لـرـسـوـلـهـ مـحـمـدـ -ـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -ـ شـارـحـاـ مـوـقـفـ أـبـيـ جـهـلـ وـأـشـبـاهـهـ:ـ {ـفـإـنـهـمـ لـاـ يـكـذـبـوـنـكـ وـلـكـنـ الـظـالـمـيـنـ بـآـيـاتـ اللـهـ يـجـحـدـوـنـ}ـ [ـالـأـنـعـامـ:ـ 33ـ].ـ

وـقـدـ كـانـ مـؤـمـنـ آـلـ فـرـعـوـنـ يـحـسـ أـنـهـ أـمـامـ جـمـاعـةـ مـنـ الـأـفـاكـيـنـ الـمـغـرـرـيـنـ،ـ فـأـخـذـ رـوـيـداـ رـوـيـداـ يـتـخـلـىـ عـنـ مـوـقـفـ الـحـيـادـ الـذـيـ بـدـأـ بـهـ نـصـائـهـ،ـ وـاـرـتـفـعـتـ دـرـجـةـ الـحـمـاسـةـ فـيـ خـطـابـهـ لـفـرـعـوـنـ وـمـنـ مـعـهـ،ـ خـصـوـصـاـ عـنـدـمـاـ قـالـ فـرـعـوـنـ سـاـخـرـاـ لـوـزـيـرـهـ هـامـانـ:ـ {ـوـقـالـ فـرـعـوـنـ يـاـ هـامـانـ أـبـنـ لـيـ صـرـحـاـ لـعـلـيـ أـبـلـغـ الـأـسـبـابـ أـسـبـابـ الـسـمـاـوـاتـ فـأـطـلـعـ إـلـىـ إـلـهـ مـوـسـىـ وـإـنـيـ لـأـظـنـهـ كـانـبـاـ}ـ [ـغـافـرـ:ـ 41ـ].ـ

.37

عـنـدـ اـحـتـدـتـ لـهـجـةـ الـرـجـلـ الـمـؤـمـنـ،ـ وـاـضـطـرـمـ الـإـلـحـاـنـ فـيـ قـلـبـهـ وـلـسـانـهـ فـصـاحـ:ـ {ـوـيـاـ قـوـمـ مـاـ لـيـ أـدـعـوـكـمـ إـلـىـ النـجـاـةـ وـتـدـعـونـنـيـ إـلـىـ النـارـ}ـ [ـغـافـرـ:ـ 44ـ].ـ وـقـالـ:ـ {ـلـاـ جـرـمـ أـنـمـاـ تـدـعـونـنـيـ إـلـيـهـ لـيـسـ لـهـ دـعـوـةـ فـيـ الـدـنـيـاـ وـلـاـ فـيـ الـآـخـرـةـ وـلـاـ مـرـدـنـاـ إـلـىـ اللـهـ وـلـاـ الـمـسـرـفـيـنـ هـمـ أـصـحـابـ الـنـارـ *ـ فـسـتـدـكـرـوـنـ مـاـ أـقـولـ لـكـمـ وـأـفـوـضـ أـمـرـيـ إـلـىـ اللـهـ إـنـ اللـهـ يـصـبـرـ بـالـعـبـادـ}ـ [ـغـافـرـ:ـ 45ـ].ـ

وـلـكـ هـذـهـ الـمـنـاـشـدـةـ الـخـالـصـةـ الـحـادـيـةـ لـمـ تـلـقـ آـذـانـاـ وـاعـيـةـ فـمـضـيـ فـرـعـوـنـ إـلـىـ مـصـرـعـهـ،ـ وـأـورـدـ قـوـمـهـ الـحـتـوـفـ،ـ وـبـقـيـ النـصـحـ الـجـمـيلـ الصـادـقـ الـذـيـ يـذـلـهـ الـرـجـلـ الـمـؤـمـنـ خـالـدـاـ عـلـىـ الدـهـرـ يـكـشـفـ عـنـ أـسـرـارـ الـقـدـرـةـ الـعـلـيـاـ فـيـمـاـ أـنـزـلـتـ بـالـظـالـمـيـنـ.

من هذا الرجل الذي يردد كلام الأنبياء وليس منهم؟ لا نعرفه، ولا نعرف عن مولده ولا مماته شيئاً... !!
ليكن رمزاً للعمل بعيداً عن الأضواء، واستعلاءً على الشهرة في الأرض، وإيثاراً للعقبى في السماء!!
وهذا رجل آخر من الطراز عينه، رجل وجد العراك محتمداً بين رسل الله وحمة الانحراف، هؤلاء يريدون أن يبلغوا عن الله
ويغيروا الشر السائد، وأولئك يريدون تكميم أفواههم وإخراجهم...
ونما الخدام بين الفريقين وبلغ الأمر بأعداء الوحي أن تشاءموا من وجود المرسلين بينهم، ومن دعوتهم فيهم، فتهددهم
بالعذاب الأليم...
وجاء الرجل المؤمن من بعيد يهيب بقومه أن يعقولوا!! وقال: {يَا قَوْمٍ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهَتَّدُونَ} [س: 21].

لقد أمن قومه على أموالهم فلن يرثهم أحد فيها، وهذه الدنيا التي يحرصون عليها ستبقى لهم مزданة بالإيمان الحق، فما
أجمل هذا!!

ثم تساءل: ما يمنعنا من الإيمان؟ وما يغرينا بالشرك؟: {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَتَتَّخُذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ
يُرِدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرِّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْفِدُونَ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٌ} [س: 41-24].
إنه يريد أسماعهم ليعرفوا، ويقتدوا، ولا يستوحشوا من الطريق الذي يدعوه إله، وبقي الرجل إلى آخر رمق ينصح أهل
بلده ليرشدوا، بيد أنه مات تاركاً إياهم على غوايتم.

فلما وجد طيب عيشه عند ربه، وثمرة إيمانه، تحف به، وتقرب عينه، تذكر الرجل المخلص قومه، فتمنى لهم الهدى: {قَبْلَ أَدْخُلِ
الجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَرَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكَرَّمِينَ} [س: 27].
ولكن قومه أصرروا على العمى، فمستهم نفحة من عذاب الله أخمدت أنفسهم وجعلتهم أثراً بعد عين.
من هذا الرجل الطيب القلب السمح النفس؟ لا نعرفه، حسبه أن ربه يعرفه. إذ لم ي عمل إلا له - سبحانه - !!

والفتية أهل الكهف الذين أحبوا ربهم حباً جماً، وغالوا بتوحيده مغالاة ظاهرة من هم؟ لا ندري، لقد رفض القرآن أن يجلو
النفاق عن أشخاصهم وعدهم: {رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ} [الكهف: 21]. {فُلِّ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ} [الكهف: 22].
لكنه كشف عن جلال يقينهم، وسمو معرفتهم لله، وإجماعهم على إفراده بالعبادة، وازدرائهم لكل انحراف إلى الشرك، {رَبُّنَا
رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا} [الكهف: 14].

كما كشف عن تبرهم الشديد بالمجتمع الوثني، وعزوفهم عن البقاء فيه، وخشيتهم من العودة إليه - إذا ضبطوا متلبسين
بإيمان!! - وانظر مدى كراهيتهم للكفر، والواقع تحت سطوة أهله، وقول بعضهم لبعض: {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهِرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ
يُعِيدُوكُمْ فِي مَلَئِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبْدَأُوا} [الكهف: 20].
إن العيش بمبدأ كريم ولمبدأ كريم شيء عظيم حقاً.
وإنما يتفجر الفداء والإخلاص من عمق هذه الحياة الرفيعة.

والأمة العربية فتكت بها أمراض الرياء، وعلل التعاظم الأجوف، والرغبة في الظهور بالحق أو بالزور، ولا يمكن أن تنقض
أمة مع هذه الأدواء الخسيسة!!

إننا بحاجة إلى أعداد كبيرة من الجنود المجهولين، يعملون في ألف ميدان ويسدون ألف ألف ثغرة.
فهل يوجد من يكتفون بنظر الله إليهم، ويستغفرون عن أنظار الناس.
وصلى الله على سيدنا محمد وآلها وصحبه وسلم.

المصادر: